

تفسير البحر المحيط

@ 162 @ بذلك على أن^{١٦٢} أصل الجنس الإنساني كان عابداً^{١٦٣} مفردة بالتوحيد والتقوى ،

طائعا له ، فكذاك ينبغي أن تكون فروعه التي نشأت منه . فنادى تعالى : دعاء عامّ للناس ، وأمرهم بالتقوى التي هي ملاك الأمر ، وجعل سبباً للتقوى تذكاره تعالى إياهم بأنه أوجدهم وأنشأهم من نفس واحدة . ومن كان قادرا على مثل هذا الإيجاد الغريب الصنع وإعدام هذه الأشكال والنفع والضرر فهو جدير بأن يتقي . ونبه بقوله : من نفس واحدة ، على ما هو مركز في الطباع من ميل بعض الأجناس إلى بعض ، وألف له دون غيره ، ليتألف بذلك عباده على تقواه . والظاهر في الناس : العموم ، لأن الألف واللام فيه تفيده ، ولأمر بالتقوى وللعلة ، إذ ليسا مخصوصين بل هما عامان . وقيل : المراد بالناس أهل مكة ، كان صاحب هذا القول ينظر إلى قوله : { تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَلْهَامَ } لأن العرب هم الذين يتساءلون بذلك . يقول : أنشدك بالله وبالرحم . وقيل : المراد المؤمنون نظرا إلى قوله : { إِنِّ زَمَّهَ اللَّهُمُّ وَمِنُّونَ إِخْوَةٌ } وقوله : (المسلم أخو المسلم) والأغلب أنه إذا كان الخطاب والنداء بيا أيها الناس وكان للكفرة فقط ، أو لهم مع غيرهم أعقب بدلائل الوجدانية والربوبية ، لأنهم غير عارفين بالله ، فنبهوا على الفكر في ذلك لأن يعرفوا نحو : { الْإِسْمُ يُأَيِّسُهُمُ النَّاسُ } { وَاللَّهُمَّ } { قَدِيرٌ } { الْإِسْمُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ } وإذا كان الخطاب للمؤمنين أعقب بذكر النعم لمعرفتهم بالربوبية . .

قيل : وجعل هذا المطلع مطلعاً السورتين : إحداهما : هذه وهي الرابعة من النصف الأول .
والثانية : سورة الحج ، وهي الرابعة من النصف الثاني . وعلل هنا الأمر بالتقوى بما يدل
على معرفة المبدأ ، وهناك بما يدل على معرفة المعاد . وبدأ بالمبدأ بأنه الأول ، وهو
ظاهر الأمر بالتقوى أنها تقوى عامّة فيما يتقي من موجب العقاب ، ولذلك فسر باجتناب ما
جاء فيه الوعيد . وقيل : يجوز أن يكون أراد بالتقوى خاصة ، وهو أن يتقوه فيما يتصل
بحفظ الحقوق بينهم ، فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله . فقيل : اتقوا ربكم الذي وصل بينكم
بأن جعلكم صنواناً مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب لبعضكم على بعض ولبعض ، فحافظوا عليه
ولا تغفلوا عنه . وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة . .

وقال ابن عباس : المراد بالتقوى الطاعة . وقال مقاتل : الخشية . وقيل : اجتناب الكبائر والصغائر . والمراد بقوله : من نفس واحدة آدم . وقرأ الجمهور : واحدة بالتاء على تأنيث لفظ النفس . وقرأ ابن أبي عبيدة : واحد على مراعاة المعنى ، إذ المراد به آدم

، أو على أن النفس تذكر وتؤنث ، فجاءت قراءته على تذكير النفس . ومعنى الخلق هنا :
الاختراع بطريق التفريع ، والرجوع إلى أصل واحد كما قال الشاعر : % (إلى عرق الثرى
وشجت عروقي % .

وهذا الموت يسلبني شبابي .

. %)

قال : في ري الظمآن ، ودلت الإضافة على جواز إضافة الشيء إلى الأصل الذي يرجع إليه ،
وأن يعد ذلك الراجع إلى التوالد والتعاقب والتتابع . وعلى أنزّا لسنّا فيه كما زعم بعض
الدهرية ، وإلا لقال : أخرجكم من نفس واحدة ، فأضاف خلقنا إلى آدم ، وإن لم نكن من نفسه
بل كنا من نطفة واحدة حصلت بمن اتصل به من أولاده ، ولكنه الأصل انتهى . وقال الأصم : لا
يدل العقل على أنّ الخلق مخلوقين من نفس واحدة ، بل السمع . ولما كان صلى الله عليه
وسلم (أميّاّ ما قرأ كتاباّ ، كان معنى